الضرورية لأبناء جلدته وانشاء البنى التحتية المختلفة، على صعيد التنظيم والتعليم والتدريب المهني وخلافه، خدمة لمجتمعهم وللأجيال الفلسطينية الصاعدة. وهم، حتى بذلك فقط، يلعبون دوراً وطنياً من الطراز الأول.

ويبدو ان عرب القدس، المهملين والمتروكين لشأنهم، هم أحوج من يكونون الى قيادات، ولو من هذا الصنف على الأقل، في ضوء الأوضاع الشاذة التي يعانون منها. ففي ظل الهجمة الاستيطانية الصهيونية الشرسة، «الخاصة» للغاية، على مدينتهم، وفي غياب أي قيادات لهم، ولو محلية، يبدو سكان القدس اشبه بالأيتام على مأدبة اللئام، ليس هنالك من يكترث بهم، أو يهمه أمرهم. ويقيناً، انه لو تم اجراء انتخابات لبلدية القدس، وأسفرت هذه الانتخابات عن فوز بعض الممثلين العرب، الذين قد يكرسوا جهدهم للاهتمام بمتابعة القضايا المعيشية البحتة لهؤلاء السكان، دون غيرها، لكان ذلك كافياً.

الليالي الظلماء

ان انعكاسات ظهور ممثلين منتخبين لسكان القدس العرب، دون التدقيق كثيراً في الطريقة التي يتم انتخابهم بموجبها، لا تقف عند الاعتبارات المحلية المحدودة التي أشرنا اليها، بل قد تتعدى ذلك لتكتسب اصداء أكثر اتساعاً وأهمية، يمكن ان تمس الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ببعديه، الاقليمي والعالمي، نظراً الى مكانة القدس الخاصة لدى العالمين، الاسلامي والمسيحي. وفي هذا الصدد بالذات، يكتسب وجود مثل اولئك الممثلين المؤيدين للمطالب الوطنية الفلسطينية، أهمية خاصة وفريدة في نوعها.

وعلى الرغم من مشاريع الحلول كافة المقترحة لأزمة المنطقة، وسواء أُطُرحت في «مؤتمر دولي» او خلافه، وأياً كان موقف هذا الطرف، أو ذاك، منها، من الواضح ان الصراع العربي ـ الصهيوني ليس مرشحاً للحل، او للحسم، او للاختفاء، في المستقبل المنظور، بل انه قد يستمر فترة أخرى لا تعرف نهايتها. و «عشرة القوم» التي ازدادت من اربعين يوماً لتصبح عشرين سنة، قد تستمر سنوات وسنوات أخرى، لا يمكن حصرها مسبقاً. ومن بين كافة نواحي الصراع، الدائر منذ أجيال، تبدو تلك المتعلقة بمصير القدس الأكثر عمقاً واتساعاً، وكذلك شراسة، نظراً الى الاصرار الصهيوني على السيطرة على المدينة.

والواقع ان الحظ، وليس الذكاء المفرط، بل ـ على وجه التحديد ـ عدم ذكاء الآخرين و «انعزاليتهم»، قد قدم خدمات جلّى الى الصهيونيين في موقفهم تجاه المدينة المقدسة. فالقدس الكبرى «الموحدة» تضم، في حقيقة الأمر، أقلية عددية من السكان الصهيونيين، اذ ان الأكثرية تنتمي، فعلاً، الى تجمعين سكانيين آخرين، هما العرب واليهود المتدينون الورعون (المعادون، بشدة، للصهيونية، لأسباب دينية عميقة، وبالتالي دائمة). الا ان كلاً من هذين التجمعين منعزل ومنغلق على ذاته، ولا يشارك في ادارة المدينة، بحيث يسهل تغييبه. ونتيجة لذلك، يتصدر الصهيونيون الواجهة، ويحكمون ويرسمون، ويعرضون المدينة، ازاء العالم بأسره، كأنها «لهم»؛ بينما الواقع عكس ذلك، او يمكن ان يتحول على هذا النحو، وذلك ـ مثلاً ـ بالعمل على توحيد جهود هذين التجمعين، ولو في نواح معينة. ويبدو ان هذا ليس صعباً، خصوصاً اذا علمنا، مثلاً، ان الملقب بـ «وزير خارجية» اليهود المتدينين من اتباع ناتوري كارتا ينشر في الصحف رسائل مفتوحة الى ياسر عرفات، يبدأها بعبارة «سيدي الرئيس»، بينما يعلن أحد حاخاميهم انه قد قدم طلباً (من الآن) للحصول على جنسية